الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ

محمد سيد حاج

رحمه الله

خطبة جمعة

التعليم إشكالات وحلول

للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله

نص مفرَّغ من التسجيل وحُرِّر للقراءة: صُحِّحت فيه الهمزات والترقيم والآيات، وحُذفت مواضع لم يتبيّن فيها الكلام. المرجع هو التسجيل الصوتي.

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وجعلنا من خير أمة أُخرجت للأنام، تأمر بالمعروف وتنهى عن الآثام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك العلّام، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، عليه من ربنا أفضل الصلوات وأتمّ السلام، وعلى آله وأصحابه ومن على شرعه استقام.

عباد الله، أمة الإسلام هي أرفع الأمم وأعلاها منزلة، وأسماها قدرًا، هي خير أمة أُخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله. تمثّل أمتنا للبشرية معقل الحق، ومأرز الإيمان. ولكن الحقيقة المرة والواقع الأليم أن أمتنا بمعزل عن قيادة البشرية وتوجيهها. أمة أوجدها الله لتقود الأمم بالحق الذي تحمله، رسالتهم عالمية وقيمهم سوية، غير أنها في الآونة الأخيرة مؤخرة الركب، وفي ذيل الأمم، وفي قاع التخلف والحضيض.

يذهب المصلحون والغيورون من أبناء الأمة للتنقيب عن أسباب تخلف الأمة الإسلامية. فبعضهم يعزو ذلك إلى أنها أمة استُهدفت بأفكار وعساكر دخلت ديارها، واجتاحت بلادها، واحتلت أراضيها، واستنزفت خيراتها. وبعضهم إلى ذهاب العقيدة، وإلى ضعف الإيمان، وإلى ضياع الهوية. وبعضهم يعزو ذلك إلى التردي والتفسخ الأخلاقي في بلاد المسلمين، والملاهي والصوارف والشواغل التي شغلت الأمة. وأنا أقول: إن قضية ضعف الأمة وتخلفها قضية كلية تقوم على ضياع التربية، وإن المجتمع لم يتربَّ على قوالب الإيمان الصحيح ولا الاعتقاد السليم، وإن قضية أمتنا قضية مجتمع.

بعض الناس يقول: المشكلة في قياداتنا، المشكلة في حكوماتنا، المشكلة في رؤسائنا وحكامنا. وبعضهم يقول: المشكلة في الإعلام. وبعضهم يقول: المشكلة فيما نعانيه من ذل واضطهاد. بل المسلم الفرد العادي لا يمثل الإسلام التمثيل الصحيح. وأنا أقول: مشكلة الأمة مشكلة كلية، مشكلة الأمة في قياداتها وحكامها ومحكوميها هي مشكلة التربية المفقودة.

ولذلك قررتُ في هذه الخطبة أن أتناول موضوعًا قلّ أن يُتناول، بل بعض الناس قد يرى أن مكانه ليس المنبر، إنما قاعات الدراسة وقاعات المؤتمرات. وأنا أقول: خطبة اليوم عن التربية والتعليم، وإشكالات ذلك في مجتمعاتنا المسلمة، على مستوى العالم الإسلامي.

إننا أمة تمثل أمة المعارف، أي أمة المعرفة، وأمة العلم، وأمة القلم. شعارها ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾. شعارها ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ...صَادِقِينَ ۝ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾. شعارها ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. شعارها ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. شعارها ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾. البيان بكافة أصنافه، وكل أشكاله وفنونه وميادينه: بيان القلم، وبيان الذهن، وبيان التفكير، وبيان التحليل، وبيان الإيضاح، وبيان الإنتاج، وبيان الابتكار، وبيان الإبداع، وبيان الصناعة والصنعة والحرفة. إنها أمة البيان. ولكن الأمة الإسلامية، أمة العلوم، هي في الأمم وفي مؤخرة الحضارات.

إن قضيتنا قضية تربية: الحاكم فقد التربية الصحيحة، والمحكوم فقد التربية الصحيحة، والمجتمع بكلياته فقد التربية الإسلامية الصحيحة. تعرف هذا من خلال هذه النقاط.

إن من إشكالات التعليم في بلادنا هذه، وفي سائر بلاد المسلمين، أن التعليم مُنبتٌّ عن الله عز وجل. إن خير العلوم ما قاد إلى الله. وذلك أن العلم الذي لا يقودك إلى الله، ولا يعرّفك بالله، ولا يقود إلى الإيمان، ولا يفضي إلى الاعتقاد الصحيح، ولا يثبّت حقائق الشرع، لا يُعتبر من العلوم النافعة. ماذا يتعلم أبناؤنا في المدارس؟ وما هي المناهج التي عندهم؟ هل هي كلها بفيزيائها وكيميائها ورياضياتها تقود الطفل الصغير إلى الإيمان الصحيح؟

إن الأمم في تقديري لا تنتصر بعدد المادة ولا بآلات العسكر، إنما تنتصر بعلمها وبفكرها. ويوم أن فقدت أمتنا العلم والفكر والقلم فقدت الأمة كل شيء. ولكن ليس القلم بمجرد القلم؛ القلم الذي يحيي في الأمة فكرًا، القلم الذي يحيي في المساجد نشاطًا، القلم الذي يجعل العالم عالمًا، والمفكر مفكرًا، والقائد قائدًا، القلم الذي يجعل الأم أستاذة في بيتها، تدرّس أبناءها القيم وتقودهم إلى الله عز وجل.

إن المدارس التي نراها الآن بهياكلها وصورها الموجودة تحوي أعظم الثروات، تحتضن الثروات البشرية، تحتضن رجال الغد وجيل المستقبل. إن هذه المدارس تفتقد أبسط المقومات، بدءًا من الإجلاس. وقد ذهبت وزرت كثيرًا من المدارس لأطمئن ولأرى كيف تسير العملية التربوية في بداية هذا العام الدراسي الجديد: طلاب لا يجدون الكنب، الطالب لا بد أن يأتي بالكرسي من بيته، الكراسي يؤتى بها من البيوت، ومن لا يأتي بكرسي لا يجلس في قاعة الدراسة، وبعد أن يأتي بالكرسي سيترك الكرسي ويذهب، والذي يأتي في السنة القادمة أيضًا لا بد أن يأتي بكرسي. الطباشيرة يدفع حقّها الطالب، والمراوح يصلحها الطالب.

والذي يعلن في بلادنا مجانية التعليم! لقد سمعت رئيس دولتنا يصرح بأن التعليم مجانًا في بلادنا. هذا واقع: تذهب إلى أي مدرسة من المدارس الحكومية، يقولون لك: تريد أن تسجل؟ نعم. ادفع مبلغ. من الذي يحدد قيمة المبلغ؟ يحدده الأساتذة في المدرسة. وأنا أعذرهم، لأنهم يريدون أن يرجع عائد هذا المال إلى المدرسة. أقرب مدرسة مننا لهنا سلك الكهربا ممعّط، قالوا: يجيبوا قروش واعملوا تبرعات عشان الكهربا يوصلوا، يجيبوا سلوك ويوصلوا الكهرباء. وللأسف الشديد يقول لك: آه لا، ده شيء من الوزارة. تدفع تدفع. يا أخي، عندي طفل في سنة أولى، قال: سجّله، ثلاثمئة ألف. يا أخي، يقول لك: لا لا، لازم. بعد ما تدفع التلتمية ألف ما في وصل، ما في ورقة، ما في شي يدل ويثبت. يلملموا، وأنا لا أتهمهم، أنا متأكد إنو داير يدخلوها إلى المدرسة، وإذا يدخلوها جوّا المدرسة ما حيأخذوها الأساتذة، لأنهم أحوالهم عادية، لا هم راكبين عربيات ولا هم مرتاحين، زي ما بيقولوا الناس، أمورهم عادية. لكن هذه بيئة لا تنفع لتكون بيئة تعليمية، فضلًا على أن تكون تربوية.

التعليم مُنبتٌّ عن الله عز وجل. التعليم ينبغي أن يقود إلى الله سبحانه وتعالى، هذا هو العلم النافع. يقول مسروق رحمه الله تعالى، مسروق بن الأجدع، يقول: بحسب امرئ من العلم أن يخشى الله، وبحسب امرئ من الجهل أن يُعجب بعلمه. من أُعجب بعلمه كان جاهلًا، ومن خشي الله ولم يتعلم كلمة ولا حرفًا كان عالمًا.

وبالتالي هذا سيقودني إلى معادلة سيئة، وهي الإشكال الثاني: التعليم بغير أهداف ولا غايات واضحة. التعليم، ليس في السودان، في جميع العالم الإسلامي، التعليم لأجل التعليم، هذا هو الهدف. التعليم لأجل الوظيفة، التعليم لأجل الوضع، التعليم لأجل المكانة الاجتماعية، التعليم لترقية النفس. التعليم ينبغي أن يكون لأجل الأمة، ينفع الأمة، التعليم لأجل النهضة العامة. إن مقياس نجاح المجتمعات ليس بكثرة الخريجين ولا بكثرة الجامعات، إنما بأثر الخريجين وأثر الجامعات على المجتمع، على أخلاق الناس، على سلوك الناس، على نهضة الناس، على تغيير أوضاعهم وأحوالهم المعيشية والاقتصادية. أين أثر التعليم؟ لا أرى للتعليم أثرًا. التعليم ليس لأجل التعليم، التعليم لأجل الدين ولأجل القيم.

والدليل على ذلك أنك تجد متعلمًا منحرفًا يقدّمه الناس على رجل صالح لم ينل حظًّا من التعليم. ولو سألت: أيهما أكثر علمًا؟ لقلت: الرجل الصالح الذي لم يقرأ ويكتب، لأن القراءة والكتابة ليست غاية في ذاتها، إنما هي وسيلة. ورسولنا ﷺ كان أميًّا، وهو ﴿الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ...﴾. يعلّمهم القيم، وهذه لا تحتاج إلى قراءة ولا كتابة، يعلّمهم الأخلاق، وهذه لا تحتاج إلى خط ولا إلى معادلات، يعلّمهم الأدب، يعلّمهم الرسالة، يعلّمهم الإيمان، يعلّمهم الصلة، والاعتقاد السليم، والعلاقة بالله عز وجل. وكان أميًّا وهو من أعلم الناس. فرق بين الجاهل وبين المتعلم، العالم ليس الذي يفك الخط.

كلمة عامة الناس، لما رأوا بعض المتعلمين تخلّف عن ثمرة العلوم وعن آثار العلوم في حياته، لما رأوه متعلمًا ويرتكب الحرام، لما رأوه متعلمًا ويتكلم عن الطب ويدخّن، ويتكلم عن أضرار التدخين وعن الصحة وعن أهميتها وهو يدخّن، عندها فقد الناس القيمة في المتعلمين، وقالوا: القلم ما بزيل البلم. ولما رأوا شباب الجامعات الذين هم خلاصة الأمة، لما رأوهم على الطرقات العامة، والشوارع، والرصيف، والجسور، والكباري، ماشين اتنين اتنين، جوز جوز، وماسكها من إيده وبتونسوا، فقد الناس الثقة في العلم. هذا علم مُنبتٌّ، لا أهداف له سوى العلم. التعليم لأجل التعليم مرفوض، وإلا الأميون علّموا الناس. التعليم لأجل التعليم مرفوض، التعليم لأجل القيم.

وبالتالي النقطة الثالثة: العلم بين رفيع المعاني وبين شاهقات المباني. العلم بين رفيع المعاني وبين شاهقات المباني. لقد حصلت نهضة عمرانية كبيرة في بلادنا، مبانٍ شاهقة وجامعات كبيرة على أنقاض أخلاق وفضيلة. هذه هي الحقيقة المرة التي يتوارى كثير من الناس عنها. قامت مبانٍ شاهقة ولكن توارت الأخلاق، واندثرت

القيم، وذهبت الرجولة والغيرة على الأعراض، والحفاظ على أمر النساء، وسارت الفتاة جريئة لها من الجرأة ما لها.

ولو أنكم أردتم الدليل، لعلي أجد رسالة جاءت في هذا الجوال. سؤال غريب، سؤال غريب. السلام عليكم، وضعت يدها على يد صديقها وقالت: زوجتك نفسي، عن طريق الهزار، ولم يكن هنالك أحد سواهما. كيف ما كان فيه؟ الشيطان كان قاعد. كيف ما كان سواهما؟ ما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما. هل هي متزوجة منه؟ وما حكم الشرع في هذا؟ وكيف أنصح صديقتها؟ هذا سؤال. فقلت لها: لا تعتبري صديقتك متزوجة بصديقها. هل الزواج لعب؟ لو قالت له هذا بالجد والحق لم يكن زواجًا، فكيف وهو هزار؟ المرأة لا تزوّج نفسها، ولا تزوّج نفسها من النساء إلا بغيّ. وانصحي أختك ألا تتلاعب بشرفها ولا بعرضها. هل يمكن أن يكون الأمر إلى هذا المستوى؟

إن قضية العلم وقضية المعرفة، روح المعرفة، ليس أن نعلّمهم فقط علمًا من أمور الدنيا، هندسة، كيمياء، ينبغي أن نربطهم بالله عز وجل. وكل علم من العلوم ينبغي ويمكن أن يُربط بالله، أي علم فيه إبداع، فيه شيء. قل لهم: من الذي علّم الإنسان؟ من الذي قاد البشرية لأن تبدع؟ من الذي أعطى الناس عقولًا؟ ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

ورابعًا: إن من إشكالات التعليم في بلادنا وفي بلاد المسلمين عامة: العلم إذا لم يكسب الأخلاق، والمعرفة إذا لم تثمر العمل الصالح، والفكر إذا أدى إلى بلبلة في المجتمع، لم يكن ذا فائدة. لا فائدة من علم لا يُكسى بخلق، ولا فائدة من معرفة لا تثمر عملًا صالحًا، ولا جدوى لفكر يثير البلبلة ويهز الثوابت ويشكك الناس في عقائدهم ودينهم.

المادة لا تفنى ولا تستحدث من العدم. من الذي قال هذا الكلام؟ هذه صفات الله تعالى، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾: الأول الذي لا شيء قبله، والآخر الذي لا شيء بعده. المادة لا تفنى ولا تستحدث من العدم، في الفيزياء والكيمياء إلى يومنا هذا تُدرَّس. وعندي رأي في هذه المقولة، وهي أشبه بمقولة الإلحاد: المادة لا تفنى، كيف؟ كل شيء يفنى إلا الله. قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾. كيف؟ من الذي أوجد المادة من العدم؟ إن الذي أوجد المادة من العدم، وأوجد الكون كله من العدم، هو الله جل جلاله في علاه. علم يثير بلبلة في الثوابت، هذا ليس بعلم، وليس بمعرفة. أيها الأحبة، إن العلوم ينبغي أن تكون علومًا لله.

ولذلك أقول: إن من أعظم أيضًا الإشكال الخامس: القدوة. أنا لا أشكك في المعلمين، ولا أشكك في المربين، ولكنني أشكك في مجموع المجتمع، في الوسائط التربوية: المسجد، الإعلام، المدرسة، البيت، الشارع. كنا نجد في أيام طفولتنا التوجيه في الطريق من رجل لا تعرفه، ينهرك ويقول لك: عيب، وما تعمل كده. الكبار في الشارع. الوسائط التربوية، هنالك خلل: البيت في وادٍ، والمدرسة في وادٍ آخر، الأستاذ في وادٍ، والأب والأم في وادٍ آخر، لم تكتمل العملية التعليمية. ولكن أقول أيضًا: صارت علاقة الطالب بالمعلم علاقة مادية، وهذا أثّر على العملية التعليمية والتربوية في بلادنا. إنت بتدفع قروش كتيرة وبتمشي المدرسة، ولا عاد في زول بيتكلم معاك، لأنك إنت جايبهم بقروشك.

وبالتالي، ودي نقطة حساسة جدًا، نقطة أن يتربى أطفالنا بالقدوة، القدوة الصالحة. عبد الله بن الزبير بن العوام، والده الزبير بن العوام. مات والد الزبير والزبير طفلًا، أمه صفية بنت عبد المطلب. أم الزبير صفية. صفية ربّت الزبير أحسن تربية، تربية رجولة، ربّته على الرجولة وعلى مكارم الأخلاق. كانت تُخرجه ليصطاد مع خاله، خال الزبير، حمزة بن عبد المطلب، ليصطاد الأسود. حمزة كان بيطلع الخلا يصطاد الأسود. هو طفل، مشى المرة الأولى، قال: الرحلة سمحة. مشى لقى الأسود. المرة الجاية قالت له: امشي مع خالك. أبى يمشي، دقّته. أعمامه، أعمام الزبير، جاءوا يدافعون عنه، قال: إنت تدق الولد كيف؟ قال: تضيّعيه؟ إنتي دايرة تعملي شنو؟ قالت: مَن قال إني أُبغضه فقد كذب، إنما أضربه حتى يَلُبّ، ويهزم الجيش ويأتي بالسلب.

وفعلًا لما أرسل عمرو بن العاص، لما فتح مصر، أرسل إلى عمر بن الخطاب رسالة يطلب مددًا. أرسل إليه عمر الزبير، وقال له: أرسلت لك أربعة آلاف فارس. ولم يكن إلا الزبير. الزبير أنجب عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن الزبير يقول عنه الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: المبجَّل لشرف الأمومة والأبوة. أما من جهة أمه فأمه أسماء، وخالته عائشة، وجده أبو بكر الصديق. ومن جهة أبيه والده الزبير، وجدته صفية. المبجَّل لشرف الأمومة والأبوة، المحنَّك بريق النبوة. عبد الله بن الزبير جاءت به أسماء طفلًا صغيرًا فحنّكه الرسول ﷺ.

عبد الله بن الزبير قاتل الحجاج لوحده. وجاء إلى أمه أسماء، وكانت قد عميت، قال لها: يا أم، لقد حاصر الحجاج مكة، وإن الذين معي خذلوني، فماذا ترين؟ قالت: هل كنتَ على حق أم على باطل؟ قال: كنتُ على حق. قالت: لا تقل: تركتُ الحق لمّا تركني الناس. فأراد أن يودعها، فلمسته فوجدت فيه دروعًا، قالت: ما هذا يا بني؟ قال: إنها دروع الحرب. قالت: وهل مثلك يلبس في القتال دروعًا؟ فخلع الدروع. قالت: كيف قومك؟ قال: لا صبر لهم إلا ساعة، حيصبروا معاي ساعة واحدة للقتال. خرج عبد الله بن الزبير من عندها يردد:

لا أَلِينُ لِغَيْرِ الحَقِّ أَتْبَعُهُ حَتَّى يَلِينَ لِضِرْسِ الماضِغِ الحَجَرُ

وخرج وبدأ يقاتل الحجاج، يخرج عبد الله بن الزبير لوحده إلى الكتيبة وهو في المسجد الحرام، فيدفع الكتيبة والجيش حتى الأبطح، حتى بطحاء مكة، ويجي راجع تاني. في النهاية ضربوا المسجد بالمنجنيق، فسقطت شرفة من شرفات المسجد عليه فوقع، وهو يردد:

أسماءُ يا أسماءُ لا تبكيني، لم يبقَ إلا حسبي وديني، وصارمٌ لانت به يميني

أسماء يا أسماء لا تبكيني، لم يبق إلا حسبي وديني، وصارم لانت به يميني. الناس كلهم انفضوا، فأُسر وقُتل وعُلّق كما هو معروف. جاءت أسماء ووقفت على ولدها، فقالت له عبارتها المشهورة: وما ضرّ شاةً سلخُها بعد ذبحها يا بني، ما حتتألم. وقفت عليه وقالت له كلمة جعلت الحجاج ينزل عبد الله بن الزبير من مكانه. قالت له: لله درّك، أبيتَ أن تكون فوق الناس حيًّا وميتًا؟ فقال الحجاج: أنزلوه.

يا أخي، شوف التربية. أنا أقول: إن المجتمع يحتاج إلى تربية، والتربية المتكاملة في كل شيء: في مناهج التعليم، في الطرائق. هذا هو أساس التربية.

من إشكالات التعليم في بلادنا أن مبادئ العلوم وأن أصول المعارف عندنا تُستورد كالصنائع والبضائع. يا ناس، ما نستورد أي حاجة، أي حاجة نجيبها من الغرب. يا إخوانا، ممكن أجيب في كلية الطب منهج يطلّع لي طبيبًا فقط، كأبقراط، فقط، شغله بالمسألة دي، ما عنده علاقة بإباحية ولا ما إباحية. الطب الخواجات كتبوا فيه كويس، لكن هذا لا يعني... أنا بتكلم عن أصول، مبادئ التعليم، أصول المنهج. يا أخي، ممكن نستورد عربية، لكن ما ممكن نستورد منهجًا نربي عليه أجيالنا وأطفالنا. إذا كانت مبادئ العلوم وأصول المعارف في بلادنا تُستورد كالصنائع والبضائع، فعلى بلادنا، وعلى تعليمنا، وعلى أجيالنا، وعلى مستقبلنا السلام.

أسأل الله تعالى أن يردّ الجميع إليه ردًّا جميلًا، وأن يعيننا وإياكم، وأن يوفق ولاة أمورنا في بلاد المسلمين إلى فعل الخير، ونشر الفضيلة، ومحاربة الفساد، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلّى اللهم وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه. ومن أعظم إشكالات التعليم في بلادنا أن التعليم صار تجارة، صار التعليم بالمال، وعندها من لا مال له لا حظ له من التعليم. كيف يمكن لأمة، طبقات الأغنياء تتعلم ويعلّمون أبناءهم، والفقراء وأبناء الفقراء لا يعلّمون أبناءهم؟ بل أسوأ شيء أن يكون المعلم ماديًا، أسوأ شيء.

ولقد ذكرت في هذا المنبر كلمة أرددها: إني أتصور أن يكون التاجر جشعًا، وأتصور أن يكون رجل الأعمال والمصانع طمّاعًا، لا أتصور الطبيب والمعلم أن يكونا على جشع وعلى طمع، هذا لا أتخيله أبدًا. طبيب يبقى بتاع قروش، ده أنا ما بتخيله. بتخيله ما شكر نعمة الله، ربنا رفعه فوق الناس وهو رمى نفسه في الحضيض. معلم، مكّنه ربنا من عقول الأجيال والقادة. الطالب قاعد في الصف ده الآن في سنة أولى، ممكن يكبر رئيس جمهورية في يوم من الأيام، ممكن يبقى قيادي، ممكن يبقى عالم، ممكن كده، مكّن ربنا منه، يعلّم بالمال، كيف؟

الأستاذ يقولون في درس خصوصي للطلاب، الطالب بعشرة، درس خصوصي بعشرة، بيدفعوا عشرة، ثلاثة أيام في الأسبوع، جميل. الطلاب حيدفعوا من وين؟ المعلمين والمربين ما عندهم شغلة. يا أخي، الطالب ممكن يطلعوه من المدرسة الظهر، أو بعد الفطور، ما دفع القروش يقول له: امشي، لحد ما ييجي البيت يجيب القروش ويرجع، الحصص بتكون انتهت. الخطورة لمن يكون نفس المعلم اللي شغال في مدرسة حكومية شغال في مدرسة خاصة، كيف سيكون عطاؤه؟ فينا أكتر ولا هنا أكتر؟ طيب، هي صورة أوضح: عشرة طلاب، الطالب بعشرة آلاف، بيعملوه درس خصوصي، وطالب واحد بيديهم مية ألف في البيت درس خصوصي. ربط التعليم بالمادة ضيّع القيمة التربوية للتعليم، لأنه يا إخوانا التربية وين التربية حتكون؟ في النهاية وين التربية؟

أنا ما زلت أعذر المعلمين، لأنه في النهاية واقعي، الإنسان واقعي، حيقول لي: أنا أقدر أدفع برضه أولادي في المدرسة، داير أدفع كهربا، داير أأجّر بيت، داير أعالج أولادي، عندي زوجتي، عندي أبوي، عندي مسؤوليات، أعمل شنو؟ في حقيقة هذا إشكال: يوم أن رُبط التعليم بالمادة، أُفرغت العملية التعليمية من محتواها ومضمونها التربوي. ما عنده علاقة بالتربية، علم بس، رياضيات، سين زاي الصاد بيساوي كذا، ما عنده أي علاقة بالتربية، بس علم بحت. أُفرغت العملية من محتواها التربوي.

وأخيرًا، من أعظم إشكالات التعليم في بلادنا: التعليم ما زال في إطاره النظري. وأعني بذلك: أين العلوم التجريبية؟ وأين أسرار العلم التجريبي؟ بمعنى: هل أثمر التعليم معامل ومصانع؟ طيب، آلاف الخريجين بيتخرجوا، جميل، نالوا شهادات، شي طيب، كونه يتعلم برضو كويس، جميل. لكن أين سر العلوم التجريبية؟ ليه ما في؟ ناس بيصنعوا؟ ليه ما في الأدوية يبتكروا؟ في خلل ما في التعليم. التعليم قديم في السودان، لكن الآثار ليست بذات ما بُذل في التعليم. أتحدث عن سر العلوم التجريبية وتفجير هذا السر. فإذن يمكن أن أقول: التعليم في بلادنا نظري بغير عطاء عملي. حاجة كده عمل ما في. مثلًا حيتعاملوا مع الأجهزة الموجودة بس الآن، ما في حاجة جديدة. لمّا أوروبا تعمل جهاز جديد، بيكون شاطر جدًا هو اللي عرف كيف يتعامل مع هذا الجهاز. متى نصنع أجهزة؟ ميكانيكا حيتعامل مع شنو؟ مع العربات الموجودة الآن. طيب، ولو في عربية جات وما لقيناها في الجامعة، جابوها من اليابان، ما حيقدر إلا يقراها ويتعلمها. أين آثار العلوم التجريبية، معامل ومصانع، في بلادنا؟ هذه إشكالات التعليم.

وفي نهاية الخطبة أدعو الجميع للتظافر، بدءًا من الحكام والمناهج، ومرورًا بالأسرة، ومرورًا بالمدرسة، جميعهم أن تكون غايتهم وهدفهم صناعة إنسان صالح، هذا هدف: مواطن ناجح وعنصر فاعل في المجتمع. أن يتضافر الجميع، ورجال الأعمال، لو أن لهم من الأموال مال، عليهم أن يدفعوا به إلى دور التعليم، وإلى مؤسسات التعليم، وإلى صروح التربية. والمعلم عليه دور كبير جدًا، ليس في الرسالة التعليمية، في الرسالة التربوية، في القدوة، في تحقيق النموذج، في تغيير الأطفال، في ربطهم بقيمهم وتراثهم وتاريخهم وأمتهم ودينهم وأخلاقهم، وهكذا.

أسأل الله تعالى أن يردّ الجميع إليه ردًّا جميلًا، وأسأله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضى، وأن يأخذ بنواصينا إلى البر والتقوى. اللهم عافنا فيمن عافيت، وتولّنا فيمن توليت، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا برحمتك شر ما قضيت، إنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك، إنه لا يعزّ من عاديت، ولا يذلّ من واليت، تباركت ربنا وتعاليت. اللهم انصر المجاهدين في كل مكان، اللهم كن لإخواننا في فلسطين وفي لبنان، اللهم خفف الوطأة عنهم يا رب العالمين، اللهم انصرهم على عدوهم، اللهم عليك بعدوهم وعدوك يا رب العالمين. اللهم إنهم أعداؤك من اليهود والصهاينة المجرمين، اللهم أنزل عليهم جام غضبك، اللهم أنزل عليهم بأسك ونقمتك التي لا تُرد يا رب العالمين، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يُرد، اللهم أنزل عليهم مقتك وغضبك يا رب العالمين، على الصهاينة المجرمين.

اللهم يا إلهنا ويا مولانا، اللهم اشفِ مرضانا ومرضى الحضور ومرضى المسلمين جميعًا يا رب العالمين، اللهم اشفهم يا رب، اللهم اشفِ كل مريض، اللهم اشفِ كل مريض، اللهم اجمع له بين الأجر والعافية، اللهم اجمع له بين الأجر والعافية، يا رب العالمين. وصلّى اللهم وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

للاستماع إلى المادة وتنزيلها

mohamedsayed.com/sounds/التعليم-إشكالات-وحلول/

تابع الحسابات الرسمية للشيخ

فيسبوك
MohammedSayedHaj

يوتيوب
@msayedhaj

تيليجرام
@msahaj

قناة واتساب
قناة الشيخ

إكس
@mohamedsayed_sd

الموقع الرسمي للشيخ محمد سيد حاج رحمه الله · mohamedsayed.com